«كامننا»..
كيف تنجح الـ«ولا حاجة»؟!
(١)

زوّغنا أنا وصديقي من المدرسة بعد مداولات طويلة قبل طابور الصباح، في مدرستي الثانوية كان التزويغ أسهل من دخول الحمام، ربع جنيه في يد عم «حسنين» حارس المدرسة، ولا تهين نفسك بالقفز من فوق السور الخلفي! وصلنا أمام السينما مبكرًا، ولكنني لم أتخيل أن حفل الساعة العاشرة صباحًا سيرفع لافتة «كومبليت»، هذه المرة الثانية التي أذهب فيها لأشاهد فيلم «إسماعيلية رايح جاي» ولا أجد تذكرة. اقترح صديقي أن نحجز كرسيين بطريقتنا، في سينمات الدرجة الثالثة تشاهد عادة ثلاثة أفلام بخمسة جنيهات، كان هذا في شتاء ٩٧، الآن لا أعرف كم ثمن التذكرة، كل ما أتذكره جيدًا أن البرنامج الممتد من العاشرة صباحًا حتى الثانية ظهرًا كان يتخلله عادة فيلم تركي ساخن بطولة نجمة الإغراء «بانو ألكن»، ودائمًا هو أقرب لمقتطفات من أفلام البورنو، ولكن للعرض العام وسط تصفيق وصفافير المراهقين.

علبة «كليوباترا بوكس» كفيلة بمنحك مقعدين في أفضل مكان دون أن تتكبّد عناء طابور التذاكر، يرى صديقي أن الدُخان عملة مصرية أصيلة لم نعرف قيمتها جيدًا خارج

السجون، خلف الأسوار يمكنك أن تبيع وتشتري أي شيء بالسجائر، وبالطبع السيجارة المستوردة قيمتها أعلى من المحلية، هي فروق تشبه إلى حد كبير قيمة الجنيه أمام الدولار! يقول صديقي: «السيجارة سالكة زي الستات»، تأملت الجملة ولم أفهمها إلا في بداية عملي بالصحافة، عندما قال لي صحفي مخضرم: لماذا أرسل لوزير أو مسؤول مندوبًا شابًا يجاهد كي يحصل منه على تصريح أو مقابلة، بينما البنت الحلوة ستفوز بهذه الفرصة من أول محاولة؟!

وجهة نظر قد تكون ذكية، ولكنها رقم في معادلة حوّلت عددًا كبيرًا من الصحف العريقة إلى جراجات لتخزين ربات البيوت بعد أن تذبل مواهبهن بفعل الزمن، لا تعتبر اعتراضي نوعًا من العنصرية ضد المرأة العاملة، لنعد إلى علبة السجائر التي أجلستنا في أفضل صف بقاعة السينما.

سحابة الدخان تخيم على أرجاء قاعة السينما، لا تفكر أن تسند ظهرك على المقعد، فقد تفاجأ بمسمار يخترق لحمك في صمت، ولا تتحدث عن رفاهية التكييف، فبالكاد تمكّنت مراوح السقف من تحريك الهواء المكتوم بأنفاس الجمهور، نحن في بروفة لغرفة «ساونا» بدائية، ولكنها كبيرة، بالغ صديقي ونحن ندخل القاعة عندما قال: «ده ولا يوم الحشر!»، رمقته بنظرة اعتراض كمن يقول: «وإنت تعرف إيه عن يوم الحشر يا تافه؟».

نحب دائمًا المقارنة بين المواقف اليومية البسيطة، والحوادث الكبيرة المشابهة، بنظرة تأمل ستكتشف أن كل حادث كبير مرّ في حياتك سبقه بروفة لم تنتبه لها، الأذكياء فقط هم من

يلمسون خبرة التجربة منها تلقائيًا دون تخطيط سابق، أصلًا الحياة مجموعة بروفات لحياة أخرى سنعيشها فيما بعد، أين وكيف؟ الله أعلم.

هذا الرجل الذي دهس قدمي في الطابور، قد يأتي يومًا ما ليدهسني بسيارته المازدا، في الحياة الأخرى طبعًا. سمع صديقي كل هذه النظريات، وأنهى كلامي بسؤال حاسم: «جبت الصنف ده منين؟».

(٢)

كانت هذه المرة الأولى التي شاهدت فيها «إسماعيلية رايح جاي»، تلاها أربع مرات في دور سينما أكثر نظافة، زميل لنا شاهد الفيلم ١٤ مرة، لم أجد سببًا مقنعًا لذلك سوى أن الفيلم «عجبه أوي»، بعد سنوات قليلة لم تتكرر هذه الظواهر؛ لأننا ببساطة عرفنا قنوات الأفلام والإنترنت الذي تكفّل بحرمان منتجي السينما من ثمن تذكرة وحيدة، في عصر القرصنة لم يعد هناك داعٍ لمشاهدة الفيلم مرة واحدة في السينما ما دمت ستشاهده فوق سريرك.

في الوقت الذي تصدر فيه «إسماعيلية رايح جاي» شباك التذاكر، وفتح الباب لجيل كامل من الممثلين الذين أصبحوا نجومًا في ظرف أشهر معدودة، التقط المنتج نصر محروس خيطًا آخر من قماشة النجاح، فأصدر ألبومًا يضم أغاني الفيلم، وفي مقدمته أغنية «كامننا»، كان السؤال الأهم في الصحافة المصرية وقتها: يعني إيه «كامننا»؟

وقع عنتر هلال كاتب الأغنية في مرمى الاتهامات، ولكنه

خرج من التجربة نجمًا يضاهي هنيدي ومحمد فؤاد اللذين تربعا على عرش السينما والغناء في هذه المرحلة، قبل أن يخفت نجم الثلاثة بالتدريج لأسباب مختلفة.

يحكي عنتر هلال قصة الأغنية قائلًا: طلب مني المنتج محمد حسن رمزي تأليف أغنية سيغنيها هنيدي وفؤاد كبديل لمشهد في أحداث الفيلم، وقال لي إن الأغنية يجب أن تعبّر عن إحباط شابين وأحلامهما لكن بطريقة دمها خفيف».

يملك محمد حسن رمزي حسّ الصياد الذي يعرف من أين تؤكل الكتف، كان الفيلم قد تعثر إنتاجيًا خلال مرحلة تصويره، وفشل منتجه الأصلي في استكماله، فقرر محمد حسن رمزي شراء الفيلم، واستكماله، مراهنًا على «العيال الجديدة» كما وصفهم بالظبط، فهم الرجل سريعًا أن الجمهور يبحث عن خلطة جديدة، مطرب محبوب وكوميديان شاب موهوب، ولكنه يبحث عن فرصة، وقصة نجاح بسيطة أقرب إلى تجارة الأمل، وهي تجارة مربحة جدًا في السينما.

يواصل عنتر هلال حكايته: لم أكن أول ترشيح، حيث تم عرض الأغنية على أكثر من شاعر، ولكن لم يوفقوا، ولم يحظوا بإعجاب المنتج محمد حسن رمزى، إلى أن رشّحني رياض الهمشري، وشرح لي الأغنية في التليفون، وبالفعل بدأت فى الكتابة عن اتنين أصحاب محبطين على أن أبعث فيهما أملًا، لديهما لغتهما المشتركة، وبالفعل عثرت على لقطة في حياتي، كان لديّ لغة مشتركة مع صديق منها جملة كاتش كدر فى الألولو، اتصلت بـ«رياض» وطلبت رأيه، والحقيقة أنه بمجرد أن استمع إلى الكلمات تحمّس لها كثيرًا، بل أصابته

نوبة ضحك اضطرت على إثرها أن تجيب عليّ زوجته، قائلة لى: «رياض» هيموت من الضحك، وبالفعل حازت إعجاب الجميع عدا محمد فؤاد الذي رفض غناءها، ولكن المنتج نصر محروس استطاع أن يقنعه ليغنيها، بل وتصبح واحدة من أشهر أغانيه.

لم يتربع محمد فؤاد في قائمة تفضيلاتي أبدًا، ولكنني ألتقط من بين أغنياته ما ظل في هذه القائمة طويلًا مثل أغنية «مش حبيبة حد فينا»، كانت فكرة خارج الصندوق، صديقين يحبان فتاة وهي تحب ثالثًا، وللمفارقة رفض «فؤاد» غناءها في البداية، مثل أغلب أغنياته الناجحة التي رفضها ثم راهنه آخرون عليها فنجحت، وهو ما يفسر إلى حد كبير لماذا اختفى محمد فؤاد في حين ظل عمرو دياب متربعًا على القمة، احتفظت وكثيرين بمحبة لصوت «فؤاد» قبل أن يتحول لـ«فؤش»، وهذه مرحلة قضت تمامًا على طابور طويل من محبيه، عندما ختمها ببرنامج مقالب سخيف أراد به العودة إلى الأضواء، مثل صاحب الفرح الذي قالوا له النور بيقطع كل شوية، فضرب كرسي في الكلوب، وأنهى الليلة.

«كامننا»

غناء: محمد فؤاد

ألحان: رياض الهمشري

كلمات: عنتر هلال

توزيع: أشرف عبده

إنتاج: فري ميوزيك